السفير العربي

جريدة لبنان في الوطن العربي وجريدة الوطن العربي في لبنان

15

الخميس 25 حزيران 2015 ـ الموافق 8 رمضان 1436 هـ ـ العدد 13103

AS-SAFIR Arabic political daily - June 25, 2015 N° 13103

1

خرافات سنة مرت: الرئيس المصري حَكَمٌ بين الطبقات؟ المسؤولية الأخلاقية لحائزي نوبل للسلام تفترض التسامي عن الاصطفافات الحزبية والطائفية: حالة توكل كرمان. وفي «فكرة»: هل الانترنت هو الحياة؟

2

«بغداد بالأحمر والأخضر»: كيف يتوزع السكان بين مناطق خاصة مغلقة وأخرى مستباحة، فتستقيم آلية إسقاط الدولة والمواطَنة. وشهادة من داخل الموصل عن نظام داعش في المدينة.

3

مسارات التغيير في صفوف بعض اليساريين، مثال من المغرب. ورمضان في «بألف كلمة»: صور من غزة والقاهرة. وفي مدونات مختارة: الأئمة السالفون يشجبون رفع الصوت في الأذان!

4

حين اختفت الكلاب من منازل الإسكندرية

عبد الرحيم شريف ـ البحرين

في أسبوع واحد من شهر أيار/مايو المنصرم ذاع، على شبكات التواصل الاجتماعي خبران يخصان الكلاب في مصر. الأول عن كلبة نجح بعض نشطاء حقوق الحيوان في الحصول لها على هجرة إلى أميركا عند عائلة مضيفة، بعد أن فقدت جِراءَها بطريقة وحشية متعمَّدة في أحد شوارع مدينة الإسكندرية. والثاني عن افتتاح سيدة أعمال أول منتجع ترفيهي للكلاب الأليفة على مساحة 10 أفدنة، في موقع لم يحدد بدقة. وأرفق بالخبر بعض الصور الملتقطة للسيدة مع كلابها ضخمة الحجم، الغريبة عن البيئة المصرية، والتي يغلب الظن أنها مستوردة أو من سلالات أوروبية.

لمثل هذه الأخبار عدة زوايا يمكن تناولها تحليلاً وتفسيراً، ما بين تفسير نفسي سلوكي، وآخر حقوقي، وثالث اجتماعي طبقي استهلاكي، ورابع سياسي اجتماعي يحلّل مسارات علاقات القوة والعنف، وتعديها من الجوْر على الإنسان إلى العدوان على الحيوان خصوصاً والطبيعة عموماً. إلا أن الزاوية المهملة في الجدل المثار هي رؤية علاقة الناس بالحيوان في المساحة العمرانية للمدينة ودلالة التغير في نمط العلاقة / العلاقات على تغير العمران والمعمار.

الكلاب تعني حديقة وفناء

في شرق الإسكندرية ـ المتوسط طبقياً ـ نشأتُ في شارع قصير كان به أربعة منازل بها كلاب. لأسباب دينية شائعة، لا يرحّب بالكلب داخل المنزل، ورغم ذلك لم تُلتقط لي صور مع حيوانات أليفة في طفولتي إلا مع كلبة جيراننا المتدينين الذين تعرفت على الإخوان المسلمين عن طريقهم. فخلافاً للعداء السعودي الوهابي المتشدد ضد الكلاب، كان يشيع في أوساط المتدينين في مدينتي استثناء كلاب الصيد والحراسة من الحرمة / الكراهة الدينية. ولما كانت الإسكندرية مدينة عامرة بالسكان، خالية من ثقافة رحلات الصيد البري، فلم يكن لاقتناء الكلاب لدى المتدينين معنى سوى الحراسة. وبالفعل، كانت تربية الكلاب احتياجاً أمنياً في حدائق أو أفنية منازل من طابق واحد، في مناطق هادئة أغلب السنة، تقصدها السياحة الداخلية صيفاً لاقترابها من البحر.

لم يكن حي «المندرة» الذي ترعرعت فيه، بهذه الدرجة من التوحش أو شيوع اللصوص التي تجبر الناس على حراسة بيوتهم بالكلاب الرادعة، بل أيضاً كانوا يحتاجونها لحماية الدواجن وفراخها الصغيرة من ابن عرس. أمّا القطط فكانت ذات وظيفة في مكافحة الفئران، فضلاً عن كونها «لعبة» تربوية للأطفال مسموح بها داخل المنزل وعلى الأسرّة والفُرُش. في بيت جيراننا، الذين لم يكن لهم أدنى صلة بالريف، لعبَتْ مع الكلاب والقطط والأرانب والماعز والبط والأوز وأصناف غير شائعة من الدجاج والحمام. وفي البيوت المجاورة لم ينقطع صوّت العصافير على أشجار حدائقها، ولم تخطئ أنوفنا تمييز روائح الفل والياسمين في الربيع، ولم تكن أنظارنا تقع على أقل من عشرة أنواع من النباتات في اللقطة الواحدة.

كان وجود الكلاب في ظل ثقافة دينية محافظة ـ بلا تشدد ـ جزءاً من نمط عمران قام ارتجالاً ببناء بعض الشاليهات والفيلات والمنازل الخشبية قريباً من البحر، في أربعينيات وخمسينيات القرن الماضي. يحكي الكبار عن شرق الإسكندرية وفراغه الفسيح حكاوي لا يصدقها من يرى فيها الآن ما يطلق عليه مناطق «الصين الشعبية». ورغم ذلك، كان الزحام يتسارع في المناطق القبْلية، أي جنوب شريط السكك الحديدية، ذلك الذي أنشئ قديماً ليصل المَلك إلى قصر المنتزه بسهولة، حيث لم يكن هناك طريق أسفلتي يربط شرق الإسكندرية بقلب المدينة الموصول بطريق القاهرة. أما المناطق الواقعة بين شريط السكك الحديدية والبحر، فهي ما يطلق عليها المناطق «البَحَرية» (بفتح الحاء في اللغة الدارجة). وهكذا، صار في شرق الإسكندرية «المندرة» بَحَري وقِبْلي، و «العصافرة» بَحَري وقِبْلي، و «سيدي بشر» بَحَري وقِبْلي، وكلها ضمن حي إداري واحد وهو حي المنتزه، الذي يضم العديد من المناطق الشاسعة الأخرى ريفاً وحضراً.

كان سلوك الأطفال الجمعي مع الكلاب تحديداً من بين سائر الحيوانات الأليفة ذا مؤشر طبقي. فالمناطق البحرية شاعت فيها علاقة خاصة مع الكلاب، فلا يألف الكلب سوى عدد محدود من المقربين. كانت الكلاب ذات أسماء تطلق عليها منذ الصغر، وكان يجري الاهتمام بتفاصيل دورة حياتها في التزاوج والإنجاب والوفاة. كان التهادي بالجراء الوليدة ـ بعد فطامها ـ هو الشائع، ولم يكن البيع والشراء سائداً رغم وجوده. وكان الطعام الأشهر هو أقدام الدجاج المسلوقة تُشْترى من محل الدواجن الحية، ولم يكن هناك ما يسمى بالطعام المجفف، كما لم يكن شائعاً تعليق لافتة تحذيرية من الكلاب على حدائق المنازل، إلا في حالة الفيلات الكبيرة ذات الكلاب الشرسة، وهو ما كان شائعاً في المناطق الأعلى طبقياً، في أحياء الرمل وسيدي جابر. كانت أنواع الكلاب السائدة هي ذات الأدوار الوظيفية، حيث كانت تربية الكلاب صغيرة الحجم كثيفة الشعر، أو ما كنا نطلق عليه «كلاب الزينة»، بمثابة سُبّة ذكورية في حق مربّيها.

أما في المناطق القبْلية من حي المنتزه، كما في بعض المربعات السكنية الأقل طبقياً في المناطق البحرية، فكان الشائع مع الكلاب هو الملكية العامة أو الاستباحة العامة، بحسب ظروف الضبط الاجتماعي من الكبار. لم يكن للكلاب أسماء، ولم يكن للشرائح الدنيا من الطبقة المتوسطة سبيل لامتلاك الكلاب ــ شبه الخاصة ــ إلا فوق أسطح منازلها، حيث كانت منازل لعائلات ممتدة، ولا تزيد في أغلب الأحوال عن ثلاثة طوابق من دون أية مساحات خضراء أو فواصل فراغية بينها وبين المنازل المجاورة. وكان المبرر الذي يلح به الأبناء أحياناً على أمهاتهم (والأمهات تحديداً دون الآباء)، هو حماية الدواجن من ابن عرس، ولم يكن خافياً التطلع الطبقي للأبناء لمجاراة سكان المنازل ذات الحدائق في الشوارع والمناطق غير المكدسة. لكن الأغلب في سكن الكلاب كان الشارع، وفي طعامها مقالب القمامة العشوائية.

اختفت الكلاب حين استبيحت المدينة

لم يعد في شارعنا كلاب أليفة، ولم تعد المساحات المجاورة لشريط السكك الحديدية الداخلي مرتعاً لكلاب الشوارع، واختفى طائر الوطواط من سمائها منذ زمن بعيد. أخذ التنوع الحيوي، نباتاً وحيواناً، في الاضمحلال منذ أكثر من عقدين من الزمان، حين اختفى النمل الكبير (حرامي الحلة أو حرامي الزيتون) تحت قطران الأسفلت الذي حل محل الطريق الترابي المجاور لشريط السكك الحديدية. على جانبي الشريط الحديدي تم تعبيد طريقين من الإسفلت وإزالة عشرات الحدائق وبعض المنازل وسوق شعبية هائلة كانت قريبة من حدائق المنتزه الشهيرة. لا أحد يكره «التطوير»، ولا ينبغي لأحد كذلك أن يغفل عن العلاقة بين إزالة السوق ونقلها إلى مكان معزول عن السكان ـ في حينها ـ في المندرة القبلية، وبين «تنظيف» محيط عمارات الشيراتون المجاورة للفندق الفاخر والمطلة على البحر وعلى حدائق المنتزه. كان ذلك في عهد المحافظ إسماعيل الجوسقي الذي اشتهر، أو أشيع عنه، حصوله على شقة في كل عمارة فخمة مخالفة لقوانين البناء. مضى عهد الفساد ودخلت الإسكندرية عصر الإفساد..

تولّى المحافظة لواء المخابرات الأسبق، عبد السلام المحجوب، الذي يقال عنه إنه كان مسؤول التدريب الأمني لجمال مبارك نجل الرئيس المخلوع. في عهد المحجوب وحده، تم هدم أكثر من 400 قصر وفيلا أثرية وتراثية، منها 20 في يوم واحد، بحسب تقارير لجنة الحفاظ على التراث التي كان يرأسها محمد عوض، مدير معهد دراسات الإسكندرية والبحر المتوسط التابع لمكتبة الإسكندرية. اختفت ملامح أحياء كاملة، لاسيما منطقة «كفر عبده» التي كانت تضم أغلب السفارات والقنصليات قبل انتقالها إلى القاهرة، ومنطقة «لوران» وما يجاورها. وانطلق سُعَار عقاري يرى في أي منزل صغير تحوطه حديقه فرصة استثمارية هائلة لصنع ملايين من لا شيء تقريباً، خاصةً بعد انتشار التسويق العقاري الحديث القائم على بيع حصة كبيرة من الوحدات السكنية قبل الشروع في البناء.

بالتزامن مع استشراء التحرش الجنسي في شوارع القاهرة، كانت «قطع اللحم» المستباحة في الإسكندرية هي مساحاتها الخضراء وفراغاتها. تنافست العمارات في رؤية البحر فحجبت عن جيرانها لون السماء. هُدمت البيوت لتقام على مساحة العقار بالكامل، شاملة مساحة الحديقة، بنايات شاهقة، فغابت الشمس عن الشوارع الضيقة، وسكنت نسائم الريح، وارتفعت الرطوبة، وانكمشت الخصوصية، وطفحت المجارير التي لم تصمم لخدمة عشرات أضعاف السكان قبل عقد واحد.

لم تعد «الصين الشعبية» في المناطق القبْلية وحدها، بل صارت نظيراتها البَحَرية مُتكَدِّساً عمودياً من مساكَن الصين الشعبية الأغلى سعراً. ظهرت مشكلات جديدة تتعلق بركن السيارات، واختفاء مساحات لعب الأطفال والشباب في الشوارع مع غياب الأندية ومراكز الشباب، فانتشرت بؤر المخدرات في المقاهي ومحلات «البلاي ستيشن»، ولم يعد يرى الصغار في محيطهم نباتات كالتي كنا نراها، ولم يعرفوا صيد العصافير على أغصان الشجر ببنادق الرش كما عرفناها، ولم يبق لهم من روائحَ يستنشقوها في شوارع اشتهرت بعبير الفل والياسمين سابقاً، سوى المجاري الطافحة حالياً.

استبيحت المدينة بإشراف وتحريض من المسؤولين عن العمران فيها، وبآليات إفسادية متعمدة. صدر عن قناة «الجزيرة مباشر مصر» ـ قبل إغلاقها ـ وثائقي يرصدها ويشرّحها بعنوان «الكَحُول»، وهو اللقب المطلق على الشخص الذي يقوم بالدور المحوري في الفساد العقاري بالإسكندرية. كما نشأ نمط في البناء الخرساني السريع المحفوف بالمخاطر حمل اسماً منسوباً إلى المدينة المستباحة. اغتصبت المساحات، فلم يعد في المنازل متسع للكلاب الأليفة. أما أسطح منازل العائلات الممتدة فقد ارتفعت أكثر من عشرة طوابق عن ذي قبل، وصارت ملكية مشتركة لعشرات الأسر، ولم يعد بها سوى مكان لخزان المياه وأطباق استقبال البث الفضائي.

لم يعد للشرائح الدنيا والمتوسطة سبيل لاقتناء الكلاب، وحتى الكلبة التي ولّدت جِراءَها في شارع رشدي بمنطقة كليوباترا العريقة، لم تسلم من قتلهم أمام عينيها بعصا خشبية مثبت بها بعض المسامير، على مسافة شارعين من موقع قتل الشاب خالد سعيد في صيف 2010 على يد الشرطة. ومن دون إطلاق تعميمات، يبدو أن قصة عمران الإسكندرية الأليمة يتسلسل فيها استباحة المكان، وغياب الحيوان، وتوحش الإنسان.

اسماعيل الاسكندراني

باحث في علم الاجتماع السياسي ـ من مصر

عن هلالنا الطيب والمنسي

لم يحدث هذا من قبل. فإلى السنة الهجرية الماضية، كان هلال رمضان في اليمن سياسياً بامتياز، وظل يبزغ من الديوان الملكي والمحكمة العليا في المملكة العربية السعودية، وظلت اليمن تصوم تبعاً للرياض حتى في ظل رؤيته بوضوح في سمائنا في مساء يوم سابق للإعلان الملكي السعودي أو تعذر رؤيته في مساء هذا الإعلان.

السنة الماضية أنصتت السلطة الانتقالية في صنعاء لهيئة دار الإفتاء الشرعية اليمنية وأعلنت رسمياً بدء الصوم يوم السبت المتمم لشهر شعبان، بينما صامت السعودية في اليوم التالي. عامئذ، بدا الهلال اليمني على استقلالية سياسية ومتحرراً من تبعيته الماضية للجارة السمينة، لكنه كان في الوقت ذاته مخالفاً لمجمل الدول العربية التي صامت على ضوء الهلال الملكي.

وكان المتوقع أن تصوم اليمن هذا الرمضان في ظل سيطرة المليشيات الحوثية على الأرض والدولة والقرار، على ضوء الهلال الإيراني.. ولم يحدث في السنوات القريبة الماضية أن بزغ هلال طهران وهلال الرياض في ليلة رمضانية واحدة.

منتصف شعبان الماضي تحدثت مصادر صحافية أن اللجنة الثورية العليا لجماعة الحوثي القابضة على السلطة في اليمن، ناقشت على هامش اجتماع لها هلال شهر رمضان، وقررت أن يصوم اليمنيون بالمخالفة للسعودية، كما أصدرت للجهات المعنية بتحري الهلال تعليمات بذلك.

وتوقع اليمنيون أن يصوموا قسرياً رمضان هذا بتوقيت طهران، على ضوء هلالها البعيد. وقد ظل الحوثيون أوفياء لهلال طهران وصاموا عليه سنوات خلت. وما أن اقترب موعد رمضان الحالي، انقسم الشارع اليمني إلى فريقين، فريق يرى أن يصوم بموجب ما تقرره اللجنة الثورية خشية أن تطالهم عقوبات حوثية جراء ما يترتب على ذلك من حالة فرز طائفي وسياسي، وباعتبار من سيصوم على هلال الرياض داعشياً وتكفيرياً، وفريق آخر دفعته التصرفات الحوثية للوقوف بحماس إلى جانب هلال المملكة من دون أن يرى في ذلك تبعية ما. وكثير ممن انتقدوا سابقاً وبقوة صوم اليمن على ضوء الهلال الجار باتوا الآن يرونه واجباً. وقد نسي الفريقان تماماً أن لليمن هلاله الخاص.

جواد سليم ـ العراق

لا شيء مؤكداً في الحرب كما في السياسة. فقد بزغ هلال طهران بالتوافق الفلكي مع هلال الرياض هذه المرة، وأعلنت إيران يوم الخميس أول يوم من رمضان الحالي. ومن النادر كثيراً حدوث مثل هذا التوافق الايراني ـ السعودي إذ يتعدى الأمر الهلال ومتعلقاته إلى ما يمس جوهر الدولة وفكرتها. فكل من البلدين يعتبر نفسه مركز الإسلام وثقله الروحي، وما يدور على الملعب اليمني حالياً هو جزء من تجليات التنافر السياسي والمذهبي بينهما.

وبهذا التوافق الهلالي ربما نجا اليمنيون من مأزق تفرضه عملية فرز مذهبي تسيل الدم من أصابع القمر.. وثمة من يحيل صوم اللدودتين السعودية وإيران على هلال واحد إلى متغيرات السياسة الإقليمية، حيث قطعت الشك بيقين أن اليمن ليست إلا مسرحاً لحرب بالوكالة، وأن مصالح السياسة أقوى من فوارق المذهب. وفي ظل هذا الضباب، اليمنيون هم وحدهم من يخسر. ستصوم إيران والسعودية على هلال واحد، وسنقتل نحن اليمنيين في صلاة التراويح. شهراً مباركاً.

عيسى راشد

كاتب من اليمن

مجانين؟

يطلق المؤلف الموسيقي درور فيللر العنان لسكسوفونه الذي لا يفارقه، بينما يُبحر قارب الصيد «ماريان» فوق مياه البحر المتوسط الهادئة في مثل هذه الأيام من السنة. فيللر أصبح سويدياً منذ عقود، متخلياً عن جنسيته الإسرائيلية. انطلق المركب من ميناء في السويد وسار في بحر الشمال ثم المحيط الأطلسي وعَبَر مضيق جبل طارق إلى المتوسط. توقف في أكثر من مكان وقال ركابه ما عندهم في اجتماعات عامة لاستقبالهم. ستنضم إليه قوارب أخرى، وهم جزء من «أسطول الحرية»، وهذه هي المحاولة الخامسة لكسر الحصار على غزة من البحر ما دام القطاع متمدداً بطوله على شواطئه، وما دامت سائر المنافذ مغلقة بإحكام، وهدفهم تسليط الضوء على الوضع. خلال أيام قلائل أو ساعات، ستكون القوارب بمواجهة القطاع. على متن ماريان 15 راكباً بينهم راهبة إسبانية ونائبة في البرلمان الأوروبي وأكاديميون وفنانون ومثقفون. هددهم نتنياهو شخصياً منذ يومين، حين وصلوا إلى نقطة الانطلاق الأخيرة في جزيرة كريت، بأنّ قواته ستضربهم، ولن تسمح بخرق من هذا القبيل لسلطتها.. في الوقت نفسه، قررت لجنة حقوق الإنسان في الأمم المتحدة أن وصف «الاحتلال» لا يصح على غزة ولا على الضفة الغربية.. فبحسب «السيمانتيك»، المفردة غير ملائمة، ولا تنطبق على القوانين التي حددوها. وأما المعطيات على الأرض فلا قيمة لها. طبعاً.

هل ركاب «أسطول الحرية الثالث» مجانين أم هم متبطلون يريدون ملء فراغ حياتهم وأوقاتهم، أو مغامرون يحتاجون إلى شحنات أدرينالين؟ أُخِذ الإسرائيليون على حين غرة في 2008، ووصلت فعلا إلى غزة قوارب أوروبية مشابهة، استقبلها الآلاف من أهل القطاع بالفرح. اشتهرت «مافي مرمرة» عام 2010 لقتل القوات الإسرائيلية لعشرة من ركابها في عرض المياه الدولية. بعدها جرت محاولة أسطول الحرية الثاني في 2011، فهوجم «الكرامة»، القارب الوحيد الذي أفلت من منع السفر في موانئ أوروبية طال عشر سفن أخرى، واعتُقل ركابه وسيقوا إلى أشدود. ثم حاول مناضلون يهود مناهضون لإسرائيل الإبحار على متن «استل» (أو «النجمة») في 2012، وتكرر المشهد نفسه..

ما قيمة ذلك؟ العناد! فإسرائيل تشيع أن كل شيء تمام. علاقاتها العربية في المنطقة ومرتكزاتها تتعزز، وليس ما يسمح بتوقع انتفاضة فلسطينية بعد القمع والإنهاك والتيئيس الذي يخضع له الفلسطينيون منذ عقود. وأما سائر المجتمعات العربية فغارقة في بؤسها وتتفكك، والعالم مهتم بـ «البزنس» فحسب. ولكن، وطالما الأمر هكذا فما يخشون؟ من إدامة قيم أخرى، ومن إدامة الصراع. ذلك أن مسار التاريخ مليء بأمثلة عن إمكان تحوّل ما يبدو غير متوقع ولا محتمل إلى قائم.

نهلة الشهال

العربي السفير

ملف

60000 هو عدد الوثائق السرية المتعلقة بالسعودية التي نشرها موقع ويكيليكس حتّى الآن. حذّرت الحكومة السعودية مواطنيها من تداول هذه الوثائق التي اعتبرت معظمها مفبركاً، على الرغم من أنها أعلنت الشهر الماضي عن حدوث اختراق لخدمات المواقع الديبلوماسية السعودية.

توكّل كرمان: الاصطفاف مع الحزب والطائفة

صادق رحيم ـ الجزائر

تباينت ردود الفعل على إعلان منح توكل كرمان جائزة نوبل للسلام في 2011، تثميناً لدورها القيادي «في النضال من أجل حقوق المرأة، ومن أجل الديمقراطية والسلام في اليمن». بعض الاعتراضات العربية ركزت على «شبهات» تحيط بالجائزة نفسها وبعدد من الفائزين بها من أمثال كيسنجر ومناحيم بيغين ورابين، علاوةً على السادات وعرفات، وهما العربيان الوحيدان اللذان حصلا عليها قبل توكل كرمان. وركزت اعتراضات أخرى على «شبهات» تحيط بأسباب اختيار الناشطة اليمنية في مقابل عشرات النشطاء الآخرين من بلدان الربيع العربي. فتوكل كرمان عضو في «مجلس الشورى»، وهو أعلى هيئة قيادية في «حزب الإصلاح»، واجهة الإخوان المسلمين في اليمن. ولم يُعرف عن حزب الإصلاح ولا عن الإخوان اهتماما فعليا بالنضال من أجل حقوق المرأة أو بتوسيع الديمقراطية في المنطقة العربية.

وعلى الرغم من وجاهة تلك الاعتراضات وغيرها، قدمت كرمان نفسها وكأنها تأمل أن تكون ضمن الأمثلة الإيجابية من بين الحاصلين على الجائزة، كأمثال نيلسون مانديلا وديزموند توتو. ففي خطابها خلال حفل تسليمها الجائزة في أوسلو، أكدت على القيم المشتركة في ثورات الربيع العربي باعتبارها قيماً ومطالب عامة تهمُ البشرية جمعاء، حيث «أنها غير قابلة للتجزئة أو الانتقائية أو الإلغاء تحت دعاوى خصوصيات الهوية ومقتضيات السيادة بأي حالٍ من الأحوال». وتكرّس هذا الانطباع حين أعلنت من ميدان التغيير في صنعاء أنها «لا تنوي المشاركة في العمل السياسي اليمني بل ستكثف جهودها في المحافل الدولية والإقليمية»، وعزز ذلك تبرعها بقيمة حصتها من الجائزة (500 ألف دولار) إلى صندوق رعاية أسر شهداء وجرحى ثورة 2011 التي أطاحت بالرئيس السابق علي عبد الله صالح.

المسؤولية الأخلاقية

بدا الطريق معبّداً أمام توكل كرمان لكي تتولى مسؤولياتها الأخلاقية الجديدة، ولكي تستخدم رأسمالها المعنوي في دفع جهود الحوار الوطني في بلدها وفي دعم الحراكات الديمقراطية في بقية المنطقة العربية ومحيطها الثقافي. فلقد اتسعت، بفضل حصولها على الجائزة، المساحة التي كان يمكن لها أن تتحرك فيها لتخدم شعبها وتُسهم في اختصار آلآمه. فهذه هي المرة الأولى التي تصل فيها امرأة عربية إلى هذا الموقع الذي منه تستطيع عرض هموم وقضايا منطقتنا، بما فيها مواجهة الاحتلال الإسرائيلي، وانتهاكات حقوق الإنسان، والفساد... وهي المرة الأولى التي تتاح فيها لشابة عربية من نشطاء الربيع العربي أن تخاطب العالم من على منابر لا تُتاح إلا لذوي المكانة العالية. ولم تكن توكل كرمان تفتقد الأمثلة من بين من سبقوها من حملة الجائزة. فعلى سبيل المثال لم يتوقف الأسقف توتو منذ حصوله عليها في 1984 عن الدفاع عن حقوق الإنسان، سواء في جنوب أفريقيا أو في بقية بلدان العالم. وتغطي جهوده ومساحة تأثيره الأخلاقي مختلف القارات، وهو لم ينس فلسطين.

كانت المسؤوليات الأخلاقية الجديدة تفرض أن تترفع توكل كرمان عن التزامها الحزبي بجماعة الإخوان المسلمين التي انخرطت منذ بداية الربيع العربي في منازعات حزبية مع منافسيها في عدد من البلدان العربية. فهذا الترفع كان سيتيح لها أن تصبح فوق الالتزامات الحزبية والطائفية، لتكون جزءاً من منظومة المساعي الهادفة لحل تلك المنازعات في اليمن وخارجها. ولهذا ارتفع سقف الآمال بين المتابعين حين أعادت كرمان تأكيد أنها لا تنوي المشاركة في العمل السياسي اليمني كي لا تضيع هيبتها الجديدة في دهاليزه ومطباته. ففي البحرين مثلاً، أستبشر النشطاء حين أعلنت إنها تتمنى «أن تتحول مطالب الإصلاح في البحرين إلى ثورة شعبية شاملة، فأنا مع شعب البحرين وألتقي بأبطالهم ونشطائهم. وهناك فعلاً إرهاصات ثورة في البحرين». كان ذلك تصريحاً يناقض الموقف المعلن لحركة الإخوان المسلمين ولمراجعها من الربيع البحريني. واعتبر النشطاء البحرينيون ذلك التصريح كوّة أمل في جدار طائفي بنته السلطة في المنامة لعزل الحراك هناك عن محيطه العربي. إلا إن كرمان غيّرت موقفها سريعاً بعد أن شنت عليها أجهزة الإعلام البحرينية حملة شارك فيها قادة الإخوان المسلمين في البلاد. بعدها صارت الأولوية للانضباط الحزبي على المسؤولية الأخلاقية. وصارت لغة السيدة أبعد ما تكون عن النوايا المعلنة في خطابها ذاك، بل أقرب إلى لغة الإعلام السعودي ومفرداته الطائفية. وهي مفردات ازدادت قبحاً مع انطلاق «عاصفة الحزم» ومحاولات شيطنة كل من يعارض العدوان السعودي على اليمن.

إضاعة فرصة تاريخية

ليست توكل كرمان أول امرأة أو رجل يضيع فرصة تاريخية للاستفادة من مكانته الجديدة في المساهمة بصياغة شروط مستقبل جديد لبلده. ولا يبدو أن ثمة أملًا في أن تتغلب المسؤولية الأخلاقية على شروط الانضباط الحزبي. ففي 12 نيسان/ أبريل الماضي، أصدر القائم بأعمال وزير الخارجية اليمنية، قراراً بـ «تكليف الناشطة السياسية اليمنية توكل كرمان بالقيام بأعمال وكيل وزارة الخارجية لشؤون أوروبا والشرق الأوسط»، على أن تمارس عملها من مقر السفارة اليمنية في أنقرة (التي منحت كرمان جنسيتها التركية بعد أن تبيّن أنها تنحدر من أصول تركية!).

للأسف أيضاً، ليست كرمان وحدها من بين الحاصلين على الجائزة الذين يختارون الاصطفاف مع مصالحهم الحزبية أو الطائفية أو الطبقية على مسؤولياتهم الأخلاقية. ففي بورما، اختارت أونغ سان سوكي، الحاصلة على جائزة نوبل للسلام في 1991، الاصطفاف مع زعماء الطائفة البوذية وتحريضهم ضد الأقلية المسلمة. فلم تتحرك لاستنكار أعمال العنف الطائفية التي تعرض لها أفراد أقلية الروهينغا المسلمة في بورما، والتي أسهمت مؤخراً في دفع عدة آلاف منهم لمحاولة الفرار من القمع بحراً باتجاه جنوب شرق أسيا. ثمة فروق سياسية وحقوقية بين صمت أونغ سان سوكي عن قتل أفراد الأقلية المسلمة وتهجيرهم من بورما، وبين تأييد توكل كرمان للحرب التي تشنها السعودية منذ أشهر على اليمن. ولكن مسئوليتهما الأخلاقية واحدة. ففي بلديْهما يموت كل يوم أبرياء بسبب انحياز كل منهما لمصالح الحزب والطائفة.

عبد الهادي خلف

أستاذ علم الاجتماع السياسي في جامعة لوند ـ السويد، من البحرين

مواقع / إصدارات

عام 2003، أسست مجموعة من الناشطين الثقافيين والفنانين العرب «المورد الثقافي» كجمعية غير حكومية وغير ربحيّة «تقدم برامج متنوعة، غير متخصصة، ومرنة تلبّي حاجات الفنانين والمثقفين المستقلين والمحترفين الذين يعملون من دون دعم رسمي وخارج الإطار التجاري السائد». يتّخذ «المورد الثّقافي» بلجيكا مقرّاً له ويعمل في المنطقة العربيّة. وقد بدأ نشاطه الفعلي في نيسان / أبريل 2004 بمهرجان «أوّل الربيع»، وكان ناشطاً جداً بين عامي 2004 ــ 2006 لكنّه تعرّض لمضايقات أمنيّة من الحكومة المصريّة تتوّجت بإغلاق مسرح الجنينة التّابع له لمدّة خمسة أشهر العام 2006 . وفي العام الماضي نقلت المؤسسة عملها من القاهرة إلى بيروت مع ازدياد التضييق من قبل السلطات المصرية على عمل الهيئات غير الحكوميّة ومؤسسات المجتمع المدني.

ومن أهمّ برامج المؤسسة «المنح الإنتاجية» الّذي يقدّم دعماً ماليّاً قدره ستة آلاف دولار لمشاريع شابة في مجالات الأدب والمسرح والموسيقى والفنون البصرية، وعشرة آلاف دولار في مجال السينما والفيديو، وقد استفاد من هذه المنح حتى الآن 177 شخصاً، عشرة منهم حصلوا عليها هذا العام. وهناك «مواعيد» الّذي يقدم دعماً جزئيّاً لنفقات سفر فنانين للمشاركة في تظاهرات ثقافية خارج بلدان إقامتهم، من أجل نشر أعمالهم الفنية وتبادل الخبرات مع فنانين آخرين. وقد استفادت من هذا البرنامج مثلًا المغنية المغربية أمّ الغيت بن الصحراوي الّتي ساهم «مواعيد» في مشاركتها مع فرقتها في مهرجان القاهرة الدولي للجاز العام 2013. وفي العام نفسه، دعم هذا البرنامج الإقامة الفنّيّة للرسّام والنحّات السوري محمد عمران الّذي انتقل من فرنسا إلى لبنان ليزاول عمله الفني لمدّة شهر في دار الإقامة الفنية بعاليه.

هناك أيضاً برنامج «إمكان» الّذي يشترط في المتقدّمين إليه أن تكون أعمارهم بين 22 و40 عاماً، وأن تكون لديهم خبرة في مجال الإدارة الثقافية. وهو يدرّب كلّ عام عشرين مشاركاً من دول عربيّة مختلفة ويُختار في البرنامج خمس مشاركين للسفر إلى ألمانيا لمتابعة برنامج تدريب يقيمه معهد غوته.

برنامج «العمل للأمل» مميز وهو انطلق العام 2013 بهدف «مساعدة ودعم المجتمعات المأزومة التي تعاني من الحرب أو التهجير أو الاضطرابات السياسية العنيفة أو الأحوال المعيشية الصعبة»، وقد مرّ حتى الآن على ثلاث مناطق: إسطبل القاهرة، وحي التنك في طرابلس / لبنان، وأخيراً قرية الدوير في أسيوط المصرية حيث ضمت قافلة الأمل هذا العام 12 متطوعاً من عدّة دول عربيّة ومن مهن وخلفيات اجتماعية متنوعة، شاركوا في ورش عمل في مجالات فنّية ومهنيّة، وقدّموا خدمات طبية واستشارات نفسية ودروسا لأبناء الدوير.

يقدّم الموقع الاكتروني للمؤسسة معلومات وافية عن برامجها وإصداراتها الّتي تضمّ كتيّبات إرشاديّة: «دليل تمويل الثقافة والفنون في المنطقة العربية»، «دليل المدرّبين على الإدارة الثّقافيّة».. كما تضم كتباً مترجمة: «إدارة الفنّ على نمط العمل الحرّ». كذلك تصدر عن برنامج السّياسات الثّقافيّة دراسات: «تطوير الهياكل الثّقافيّة في سوريا»، و «مدخل إلى السّياسات الثقافية في العالم العربي»...

ويمكن المساهمة في المؤسسة عبر التبرع أو التطوع للعمل في مجالات مختلفة.

..ميزة «المورد» أنه ما زال مستمرا بالاهتمام بتشجيع الثقافة والفنون، وهي نشاطات حيوية افراديا ومجتمعيا وليست أبدا تَرَفيّة حتى لو كانت أوضاعنا على هذا المقدار من البؤس. كما يساهم في التخفيف من وطأة العائق المالي الذي يحول دون تحقق بعض المشاريع والطموحات، وأخيرا فهو ما زال يمثل رابطا عربيا بينما تتقطع أوصال المنطقة. ولا شك أن هناك فارقا هائلا بين الحاجات الفعلية وبين ما يمكن لهكذا مبادرة، مهما كان حماس افرادها، ان توفره: هذا لا يعفي السلطات من المسؤولية في هذا الصدد، ولكنها غارقة في شؤون أخرى!

الموقع الالكتروني للمورد الثقافي: http://mawred.org/ar/

فكـــرة

لا إنترنت!

في العاشر من حزيران/ يونيو الجاري، سرت شائعةٌ في الجزائر تقول إنّ خدمات الإنترنت ستنقطع عن البلاد لمدة 12 ساعة في اليوم التالي، فضجّت مواقع التواصل الاجتماعي بالخبر، وصار هاشتاغ ATBlackOut الأكثر تداولا بين تغريدات الجزائريين. بين السّاخرين الّذين علّقوا بأنّ الإنترنت منقطع في الجزائر طوال الوقت أصلًا، وأولئك الّذين أعطوا الأمر أبعاداً سياسيّة، ظهرت تغريداتٌ مغايرة. أحد الجزائريين نشر صورةً لمجموعة أشخاص غارقين في النظر إلى هواتفهم الذّكيّة، ما عدا شخص واحد يشير إليه تعليق كُتب تحت الصورة بالإنكليزية: ضُبط رجلٌ متلبّساً بالنّظر إلى العالم الحقيقيّ! مغرّد آخر كَتب: يوم وطنيّ جديد في الجزائر، سنقضي نصف يوم مع العائلة!

ارتفع عدد الجزائريين الّذين يستخدمون الإنترنت من مليون و290 ألفا (5.8 في المئة من السكان) عام 2005 إلى حوالي ستة ملايين و670 ألفا (17.2 في المئة) عام 2014. وكما في كلّ مكان، يزداد هذا الرّقم باضطراد. ورغم أنّ لا غنى عن الإنترنت في الحياة العمليّة والعلميّة هذه الأيّام، إلاّ أنّ التعاطي مع فكرة انقطاع الإنترنت 12 ساعة بهذا الزّخم مدهش و.. محزن .

في كتابه «بَرمج وإلاّ تمت برمجتك»، يقول المنظّر الأميركي دوغلاس روشكوف: «إنّ الجهاز العصبي البشري موجودٌ في الزمن المضارع، فنحن نعيش في لحظة آنيّة مستمرّة ويمرّ الوقت علينا بشكل متواصل، بينما التكنولوجيا الرقمية موجودة خارج الزمن. وعندما تندمج عقولنا وأجسادنا مع هذه التكنولوجيا المنحازة ضدّ الزّمن، ننتهي إلى الانفصال عن صيغ التناغم والتسلسل والاستمرارية التي تمنحنا التّوازن». وقبل عدّة أشهر، انتشر فيديو على الإنترنت يحثّ النّاس إلى النّظر نحو الأعلى والتخلّي عن هواتفهم الذّكية للحظات. معظم الذين شاهدوا هذا الفيديو – وأنا بينهم – شاهدوه وهم ينظرون إلى أسفل!

بالعودة إلى الجزائر، اضطرت الضّجة التي ثارت حول الموضوع إلى حمل وزيرة الاتصالات على التوضيح بأنّ كل ما في الأمر هو أنّ الوزارة تجري عملية تحديث للبنية التحتية لشبكة الإنترنت وأنّه قد ينقطع لفترات محدودة في بعض المناطق نتيجة ذلك. أوقف ذلك تفاعل المسألة افتراضياً، وكانت آخر تغريدة على هاشتاغ ATBlackOut يوم 12 حزيران: هل حدث الأمر أم لا؟

ربيع مصطفى

خرافات سنة مرّت

الرئيس المصري حَكَمٌ بين الطبقات؟

عام مضى على خطاب الرئيس عبد الفتاح السيسي في حفل لطلاب الكلية الحربية الذي أعلن فيه تنازله عن نصف مرتبه ونصف ميراثه العائلي لمصلحة الاقتصاد المصري في سياق إعلانه رفض تمرير مشروع الموازنة العامة وقتها، المقدم من الحكومة، مطالبا بالمزيد من تخفيض العجز في الموازنة.

لم يكن «تبرع» الرئيس وقتها الا تعبيرا عن خطاب الرجل الاجتماعي الذي ردده من خلفه حكومة ابراهيم محلب، وهو خطاب مفاده أن الشعب كله يد واحدة وسيدفع كله إذاً ثمن تخفيض عجز الموازنة.

خطاب عابر للطبقات من هذا القبيل، ينم عن الدعوة الصريحة «للوفاق الطبقي» بديلا عن التحليل الطبقي للنظام ولتوجهاته الاجتماعية، لاقى قبولا شعبيا يصعب إنكاره، خاصة ان الرجل دعم خطابه بإجراءات بدت للوهلة الاولى وكأنها تتضمن توزيعا لعبء التقشف على الجميع. فقد اصدر السيسي في مطلع هذا العام المالي الحالي الذي ينتهي في الأول من تموز/ يوليو، حزمة تشريعية تتضمن إجراءات ضريبية في الأساس، على رأسها فرض الضريبة على الأرباح الرأسمالية في البورصة، وتمرير قانون الضرائب العقارية، وضريبة استثنائية على مداخيل الأغنياء بواقع خمسة في المئة إضافية على الحد الأقصى للضريبة على الدخل. كما أقدم على إنفاذ إجراء جنى من ورائه تهليل قطاعات شعبية واسعة، وهو فرض حد أقصى لأجور العاملين في الدولة، وهو الإجراء الذي لطالما طالبت به قطاعات من الناس خلال ثورة «25 يناير».

بونابرتية؟

وقتها، ساهمت مثل تلك الإجراءات التي تستهدف الأغنياء كما يبدو، في تمرير آمن ويسير نسبيا لقرار تقليص الدعم على الطاقة الذي يمس الغالبية بما تضمنه إنفاذه من موجة تضخمية واسعة النطاق، إذ بدا الأمر كما لو أن الدولة قد اتخذت موقفا «محايدا» بين الطبقات. هذا «الحياد» المزعوم أغرى من أغرى لاعتبار السيسي قابعا على رأس نظام بونابرتي يتسامى فوق الصراع الطبقي لمصلحة الدولة نفسها. ويشير اصطلاح «البونابرتية» الى ظهور ما يمكن أن يطلق عليه «المخلص» على مسرح أحداث سياسية تتسم بصراع محتدم بين الطبقات، ويحاول أن يفرض سيطرته على الجميع ساعيا لتوفيرَ الاستقرار عبر مصادرة أدوات كل الطبقات في صراعها، من قبيل النقابات والجمعيات والأحزاب على نحو أو آخر.

الملاحظ أنه في هذا الصراع، لم يحاول السيسي على الاطلاق مصادرة ادوات المستثمرين، بل بالعكس فقد جرى تدعيم نفوذ جمعيات رجال الأعمال والاتحاد العام للمستثمرين والغرف التجارية عبر استشارتها في أدق تفاصيل القوانين الاقتصادية قبل صدورها، وذلك دون غيرها من الجهات التي يفترض ان تمثل الطبقة العاملة والمستهلكين، من قبيل النقابات وجمعيات حماية المستهلك. ولا بد أن مجمل ما جرى فعليا خلال العام المالي المنقضي، قد أحبط المعولين على حياد السيسي على نحو أو آخر، إذ جرى التراجع فحسب عن تلك الإجراءات الموجهة للأغنياء، بينما تم الإبقاء على الإجراء المؤلم جدا للفقراء ــ تقليص دعم الطاقة ــ بل والتعهد بالاستمرار فيه إلى حين. ففي منتصف آذار/مارس الماضي، وقبل أيام من انعقاد «المؤتمر الاقتصادي» في شرم الشيخ، وافقت المجموعة الاقتصادية في مجلس الوزراء على تخفيض وتوحيد الحد الأقصى للضريبة على الدخل من 25 في المئة الى 22.5 في المئة، وإلغاء الضريبة الاستثنائية الإضافية، في مسعى منها لتشجيع الاستثمار. ويعد هذا الاجراء الأكبر في دلالته، كون التخفيض في الضريبة على دخول الأغنياء هو الأول من نوعه منذ عشر سنوات، منذ أقدم وزير المالية – الهارب بعد الثورة – يوسف بطرس غالي على تخفيضه من 40 في المئة الى 20 في المئة. وبعد الثورة، أصبح إقرار الضرائب التصاعدية وبناء نظام ضريبي عادل جديد، مطلبا شعبيا للمرة الأولى، وهو ما اضطر وزير المالية وقتها إلى تبني الأمر، وبالفعل جرى فرض شريحة جديدة بواقع خمسة في المئة ليصل الحد الأقصى للضريبة الى 25 في المئة.

تفاوتات وتهرّب

أما الضريبة العقارية، فقد كان من المقدر أن تدر نحو 3.6 مليار جنيه، الا ان أحدث تقرير مالي شهري يشير إلى أن حصيلة الضريبة في عشرة أشهر من العام المالي لم تتجاوز 345 مليون جنيه فقط. وينص قانون الضرائب العقارية على عقد اتفاقات ثنائية بين وزير المالية من ناحية وعدد من الوزراء في حكومته، كل على حدة، بما يتعلق بمعايير تقييم المنشآت السياحية والصناعية وآبار البترول والمطارات تمهيدا لإخضاعها للضريبة. لكن لم يعقد وزير المالية إلا اتفاقية واحدة حتى الآن، مع وزير التجارة والصناعة. وعلى الرغم من أن مصلحة الضرائب العقارية أحصت فعليا 24 ألف منشأة صناعية، إلا أن عدد الإخطارات بالضريبة التي أرسلتها للمصانع لم تتجاوز حتى وقت قريب 1200 تقريبا. ولا يمكن تفسير تأخير عقد الاتفاقات بين وزير المالية والوزراء المعنيين إلا بوصفه محاولات للافلات من حصر الثروة العقارية نفسها، بغض النظر عن خضوعها من عدمه للضريبة.

اما الحد الأقصى للأجور، فسَيْرُ الأمور فيه كان مثيرا للسخرية المريرة. إذ إن ما كان قد استدعى حنق الرأي العام أصلا على الأجور العالية جدا في الجهاز الحكومي ــ المتداعي ــ هو مرتبات القضاة ورؤساء الجهاز المصرفي والشركات المساهمة، وهي القطاعات نفسها التي جرى استبعادها من تطبيق الحد الأقصى للأجور بقرار قضائي. وبذلك أيضا يكون القضاة قد استبعدوا أنفسهم من تطبيق الحد الأقصى للأجور.

كانت النهاية الدرامية لكل تلك الإجراءات هي قرار مجلس الوزراء تأجيل العمل بقانون الضريبة على الإرباح الرأسمالية لمدة سنتين بعد معركة ظافرة لرئيس البورصة ووزير الاستثمار ومن خلفهما المستثمرين في سوق المال، في مواجهة وزير المالية. وهي معركة تعيد الى الأذهان معركة ظافرة أخرى للبورصة في العام 2011، بعد شهور قليلة من الثورة، حين بلغت الضغوط مداها على وزير المالية وقتها وصولا الى اعلان رئيس البورصة وقتها بنفسه ــ مبشرا المستثمرين ــ عن إلغاء مشروع القانون الذي كان قد اعده الوزير قبل الإعلان الرسمي عن قرار الالغاء.

خلاصة القول إن خرافة وفاق الطبقات في ظل حكم السيسي وفي سياق الدعاية «الوطنية» عموما، ربما لن تجد صدى في العام المالي الذي يوشك أن يبدأ، والذي اعتمدت الحكومة مشروع موازنته بانتظار موافقة السيسي عليه، بعدما جرى استبعاد كل «الإصلاحات» من المشهد، وتبدت الحقيقة وحدها عارية هذه المرة: لا يمكن لحاكم سلطوي أن يدعي تساميه فوق الطبقات ما دام قد لجأ لإحداها طالبا منها تسيير الاقتصاد.

بيسان كساب

كاتبة صحافية من مصر، متخصصة بالاقتصاد

السفير العربي
25 حزيران 2015 ـ العدد 13103
Thursday June 25, 2015

قضية

نصف مليون دولار هو حجم ما يجنيه تنظيم الدولة الإسلامية يومياً من فرض الإتاوات على أصحاب سيارات النقل الداخلة إلى الأراضي العراقية عبر منفذي طريبيل والوليد الحدوديين مع سوريا، وفق رئيس اللجنة الأمنية العراقية. ويفرض التنظيم ما بين 300 وألف دولار على الشاحنة.

بغداد.. بالأحمر والأخضر

سيروان باران ـ العراق

يُسيطر الخوف اليوم على جميع العراقيين من المصير الذي يتهدّدهم بعد مرور عام على احتلال مدينة الموصل، ما ألغى الحوار بشأن الأخطاء المتراكمة التي أدّت إلى وصول البلاد إلى الحال التي هي عليه. وتبدو أكثر الآراء انهزامية هي تلك التي تعتمد على نظرية «المؤامرة» في تبرير اجتياح تنظيم «داعش» لثلث مساحة البلاد وما خلّفه من خراب، فضلاً عن إعادة إنتاج السلطة ذاتها. وتحاول هذه الآراء منح تحليل «السلطة الجديدة» صفات الترف والترفّع عن الواقع، وقد أدت فعلياً إلى تفسير هذا الكم من الأخطاء وكأنه وقع بفعل كارثة طبيعية أو سوء إدارة بأقصى حدّ.

لكن هل فعلًا ناقش العراقيون، أو تداولوا، في شكل «دولتهم» وعلاقتهم بها على مدى العقود السابقة؟ هل مُنحوا هذا الحق والمساحة لتكوين رأي عام من أجل تعديل صيغة حياتهم؟ ببساطة لم يحظ العراقيون بأي من هذا، إذ منذ سبعينيات القرن الماضي وحتى الآن، كانت «الدولة» العراقية وشكلها والحاجة لمعاقبتها أو انقاذها، محط نقاش دون أن يتم فهم مسارها.

عراق الديكتاتورية

في نيسان / أبريل 2003، أي لحظة سقوط النظام البعثي، اندفع العراقيون إلى الشوارع ودوائر الدولة لتحطيمها وحرق بعضها ونهب محتوياتها، فيما آثر مثقفون وأكاديميون البقاء في بضع دوائر رسميّة للحفاظ على موجوداتها. كان مشهد لفوضى عارمة. حينها، وصف الإعلام الغربي والعربي العراقيين بأنهم لصوص وفوضويون و «ضدّ الدولة»، فيما خفّف آخرون من على المنابر الإعلامية من لهجة الاتهام لمجتمع بكامله بتبرير أن العراقيين كانوا جياعاً طيلة فترة الحصار الذي استمر لأكثر من عقد من الزمن، وكانت ردّة فعلهم الغاضبة نتيجة طبيعية للثأر من سنوات الذل التي قاسوها، وللانتقام من السلطة في آن.

حمل التبرير الأخير جانبا كبيرا من الصحّة، لجهة وقوع نحو 40 في المئة من المجتمع في الفقر المدقع، إلا أنه في الوقت ذاته عازه أيضاً التحليل العميق لنظام البعث الذي سيطر على البلاد منذ مطلع سبعينيات القرن الماضي، وأخذ يضيّق على المجتمع يوماً بعد آخر محتكراً حيزه العام ومقلصاً إياه الى أبعد الحدود. أسقط هذا الإحكام على حياة العراقيين خطاب «الدولة التي تحمي الأفراد»، إذ عملت سنوات البعث على انهيار مفهوم المواطنة العراقية وانكفاء الفرد والكل العراقي عن الهامش السياسي.

احتكر البعث لنفسه الحيّز العام لضمان السيطرة على مجتمع عُرف تاريخياً بتمرده وبأنه «لا يُحكم». وانشغل بإقامة الفعاليات الداعمة لنظامه، وخاصّة في المناسبات التي تخصّ صدّام حسين نفسه، ولاسيما عيد ميلاده في 28 نيسان/ابريل من كل عام، الذي يحفظه العراقيون عن ظهر قلب بسبب الهالة الكرنفالية التي تحيط به. أتى احتكار سلطة البعث للحياة طردياً مع منع العراقيين من القيام بأي فعاليّة لا تدعمها، وكان قد سبق ذلك موجة إعدامات واسعة لاحقت المعارضين للنظام، أو حتى غير المتثلين من بين صفوف البعث نفسه (وليس فحسب من اتهم بالتخطيط لانقلاب)، وطالت بعض قياداته أو رموزه.

وبالتوازي مع اختزال المجال العام على هذا الشكل، تحوّلت السلطة إلى منظومة قرابية. ولإحكام السيطرة أكثر، أشاعت السلطة في تسعينيات القرن الماضي «عرفًا» يمنع التجمّع في الأماكن العامّة لأكثر من 4 أشخاص، ما أعدم الحديث ونقد السياسة بشكل كامل، وإلا فسيواجه «المواطن» بالإعدام أو بحزّ الرقاب من قبل منظمة «فدائيو صدّام» التي كانت قد وُلدت منتصف التسعينيات، بإشراف عُدي النجل البكر لصدّام حسين.

سَدّ الطريق على العراقيين للحراك السياسي بكافة صوره، تَلازم بالضرورة مع إغلاق نشاطاتهم في المؤسسات التي تدير البلد ومن المفترض أن تعمّره وتقدم الحماية لسكانه.. أو بالأحرى مواطنيه. فعلياً أدى غياب «المواطن» عن دولته إلى تجويف مواطنته وانهيارها «بالسهولة» التي تبدت في لحظة 2003. وعلى الرغم مما حملته من دمار، كانت مشاهد العنف والفوضى مع سقوط الدولة تعني – من بين ما تعنيه – انتقاما من السلطة واستعادة للبلاد. بيد أنها كشفت أيضاً عن عمق الخراب الذي طال علاقة العراقي بدولته وبمنظوره لها. والواقع انه غاب عن تلك اللحظة الحاسمة في تاريخ العراق الحديث عن أي خطّة من صنيع العراقيين أنفسهم لإعادة إنتاج الدولة الجديدة.

وبالمقابل، وبطبيعة الحال، لم تحمل الأحزاب التي ذهبت إلى الأمم المتحدّة للاعتراف باحتلال الولايات المتحدة الأميركية للعراق، أي خطط لإنقاذ البلاد والمجتمع من «الهشاشة» التي لحقت بهما جراء حربين متتاليتين وحصار اقتصادي صُنّف على انه الأقسى دولياً. أكثر من ذلك، وظفت تلك الاحزاب هذا لتبني على ركامه «العراق الجديد».

العراق «الجديد»!

وفقاً للتدبير الأمني الذي تلا الغزو الأميركي للعراق بعد نيسان / أبريل 2003، قُسّمت بغداد إلى لونين، الأحمر والأخضر، ولا مكان للعراقيين خارج هذه المساحات الكولونيالية الملونة.

أسس اللون الأخضر الذي خطّه الأميركان، بمساعدة نخبة من أبناء البلد، لما يُعرف اليوم بـ «المنطقة الخضراء»، معقل الحكومة العراقيّة والحكومات الأجنبية بسفاراتها ومفوضيها، المسوّرة بالحواجز والسواتر الكونكريتية ونُظم المراقبة الإلكترونية التي يحرسها آلاف من القوّات الأمنية، والتي قسمت بدورها إلى ثلاث مناطق بحسب أهميّة المسؤولين داخلها. ويمنع دخول السكان إلى هذه المنطقة المتدة على مساحة حوالي 10 كلم، وهي تضم ساحة الاحتفالات التي كان النظام السابق يوظفها لغرض الاستعراض العسكري والمناسبات التي تخص ذكرى تأسيس حزب البعث في 7 نيسان/ابريل، بالإضافة إلى الجسر «المعلّق» الحيوي، الذي يربط بين كرخ بغداد ورصافتها.

أما اللون الأحمر فقد وظفه الأميركان للدلالة على مناطق الخطر التي يجب على المسؤولين والدبلوماسيين الغربيين تجنبها، خشيّة تعرّضهم للتفجيرات أو للاغتيال. وبالطبع كانت هذه المنطقة هي بغداد التي سيعيش في ظلالها نحو 8 ملايين نسمة وهم يواجهون موتهم كل يوم، بسبب الكرّ والفر الذي يعيشه السكّان مع التنظيمات الإرهابيّة التي باتت تقلّص المساحات العامّة على أهالي بغداد بالتفجيرات التي تستهدف كل مكان بدءاً من الشوارع العامّة والأسواق وصولاً إلى المقاهي والنوادي والحانات.

في الجانب الأحمر من بغداد، حيث ينتشر الموت والفقر وتغييب العدالة الاجتماعية، تعاونت سلطة الأحزاب مع سلطة الدين (الذي هو عماد تجربتها)، إذ تتشكّل السلطة السياسية العراقية من الأحزاب الإسلامية وفق منهج المحاصصة في تقاسم المناصب والنفوذ، وهو الذي أرساه الاميركان كنظام متكامل تحت عنوان «ديمقراطية المكونات». بهذا أسست سلطة الأحزاب وشجّعت منظومة من رجال الدين داعمين لخطاب الأحزاب ومُدافعين عنها ومروّجين لبقائها. خلق هؤلاء (وما زالوا) من خلال خطبهم الدينية التي لا يمكن تجاهل طغيان حضورها في الحيّز العام، الأعذار للسلطة لعدم توفّر الأمن والرفاه الاجتماعي من خلال رمي اللوم على «خونة» داخل العمليّة السياسية، وفي بعض الأحيان الذهاب أكثر في التطرّف من خلال تبادل الاتهامات بين «طوائف» بأكملها بـ «عرقلة» بناء الدولة «الديمقراطية» الجديدة. لقد تمّت بهذا الشكل ممارسة قوّة الخطاب على المجتمع من خلال القصص والآيات المختارة لحثّ الجلاّس على الصبر، وانتظار «الفرج» الذي سيفرزه «الإيمان»، وترك المقصرين لله ليقتص منهم.

بغداد بلا رأي

أتى العقد التالي للاحتلال ليقضي على ما تبقى من ارتباط العراقي بدولته، بتفتيته الهوياتي وانعدام الأمن في حيزه العام وانسحاب ذلك على حيزه الخاص. وقد سيطرت الأحزاب المنخرطة في العمليّة السياسيّة على المؤسسات الإعلامية المحليّة، وصارت أغلب وسائل الإعلام مملوكة لحزب ما أو مدعومة منه، وتم القضاء على بعض محاولات ولادة إعلام مستقل من خلال منعها من الاستفادة من الإعلانات الرسمية على صفحاتها (وإعلانات السلطة تمثّل المصدر الرئيس لتمويل الإعلام في العراق)، وخاصّة مع إغراق الأحزاب لسوق الإعلام المكتوب بالصحف الصفراء، الأمر الذي جعل شركات التوزيع تقبض أموالاً مقابل توزيعها.

ولا يبدو صادماً أيضاً، وسط الفقر الذي بلغ 30 في المئة من المجتمع، فضلاً عن ارتفاع مستوى الأميّة عند الشباب (حوالي 13 في المئة)، أن يكون مستخدمو الانترنت ـ وهو الذي يشكل حيزاً عاماً افتراضياً ـ حوالي 4 ملايين عراقي فحسب، يتركّز أغلبهم في إقليم كردستان العراق، الأمر الذي يجعل التفاعل في هذه الشبكة شحيحاً، ولا يشكّل رأياً ضاغطاً على السلطة.

والحال تلك، فإنه يمكن إعادة عدم نشوء فعاليات مدنيّة مثل حركات رسم «الغرافيتي» على جدران مدن بغداد (وما أكثر هذه الجدران!) إلى المنع الدائم الذي تفرضه سلطتا وزارتي الداخلية والدفاع عبر توزّع عناصرهما في الشارع. يأتي ذلك بالإضافة إلى أن السلطة سارعت إلى الاستعانة برسامين دفعت لهم الأموال من أجل «تجميل» الجدران الكونكريتية التي أغلقت الشوارع، وفرضت عليهم رسم لوحات جمالية لمناظر طبيعية في بغداد للحدّ من بشاعتها.. علاوة على احتكار الفصائل المسلّحة للمساحات الأخرى المتبقيّة في المناطق الحضرية للترويج لأفكارها ورموزها، مستمدّة مشروعية ذلك من سلطة الدين نفسها.

الديمقراطية ليست أصواتاً توضع في صناديق الاقتراع، بل التمكن من التفاعل في الحيز العام لبلورة اتجاهات وتحويلها الى برامج عمل. وفي المحصّلة، ومع القضاء على عدّة محاولات لشبّان حاولوا التظاهر بطرق سلميّة في بغداد والمحافظات الأخرى، ولاسيما عام 2011، ومع التوسع في استخدام الاعتقال العشوائي، لا يبدو مستغرباً أن تُعيد السلطة إنتاج نفسها بعد كل انتخابات، وأن يستمر العراق مصنّفاً على أنّه «دولة فاشلة».

عمر الجفّال

كاتب صحافي من العراق

عام على احتلال «داعش» للموصل: ماذا تغير وكيف؟

نشر داعش يوم 13 حزيران /يونيو 2014 وثيقة مكتوبا عليها «وثيقة المدينة»، تتكون من 16 مادة، أوضح فيها طبيعة نظام الحكم الذي يريده. وهذه ليست مجرد ورقة، بل هي الحقيقة التي رأيناها والتي طبّقها داعش بكل حذافيرها. في عبارة من المادة 16 في الوثيقة، كتب داعش «أيها الناس، انكم قد جربتم الانظمة العلمانية كلها، ومرت عليكم الحقبة الملكية، فالجمهورية، فالبعثية، فالصفوية (حكومات ما بعد 2003) وقد جربتموها.. وها هي الآن حقبة الدولة الاسلامية».

اختصرت هذه الفقرة كل ما فعله داعش، ووضحت معنى «الحكم الإسلامي». كل شيء تغير، كل شيء في المدينة تحت سيطرة داعش، بلا استثناء، ولو كانت لديهم القدرة للسيطرة على الهواء الذي يتنفسه السكان لفعلوا ذلك.

تحولت الموصل الى مدينة بلا تاريخ، دمّر داعش كل شيء، خلق منظومة أخلاقية جديدة، واستطاع خلال عام واحد فقط أن يعيد صياغة النظام الاجتماعي للمدينة بشكل يلائم السياق الفكري والأخلاقي له. ما يفعله داعش لا يقتصر على الترويع والعنف، إذ يمكن للإنسان التخلص من العنف بعد فترة من الزمن. ما يحدث أخطر بكثير: داعش يخلق نظاما اجتماعيا ودينيا جديدا يتجاوز فيه كل الموروث الاجتماعي السابق للمجتمعات في الموصل والعراق عموما. ما يفعله داعش اليوم لا يتعلق بالحاضر بل بالمستقبل، بخلق بيئة قادرة على إنتاج نماذج داعش جديدة. لا بد ان المخططين في داعش قرأوا نيتشه، خاصة فلسفة القيم والأخلاق لديه، لانهم يتقنون صناعة المفاهيم والقيم وفق النسق التاريخي للعقل الجهادي الجديد.

استطاع داعش ان يخلق نظاما يوازي نظام الديموقراطية الغربية. استهدف النظام الاجتماعي في الموصل وقام بنسفه بالكامل، وأعاد خلق تصنيفات جديدة للمجتمع، فارتفعت طبقات جديدة تولت إدارة المدينة، وهو أعاد تسليم السلطة إلى سكّان الأرياف ومنحهم الصلاحيات الكاملة وأطلق يدهم، ونجح في عزل السكان الأصليين (الموصليين)، وألغى فكرة «التعددية» ونسف فكرة الاعتدال، (فالاعتدال برأي داعش يبدأ بالسيف) ونفذ مشاهد العنف بقصدية امام الناس.

نجح داعش في كسب الاطفال والمراهقين في المدينة، ونجحت ماكينته الإعلامية في الترويج لفكره. كما عزل رجال الدين المعتدلين، ووضع شروطاً وقواعد لمعنى أن يكون الشخص ملتزما دينيا ومعتدلا، وقام بتنحية كل من لا يدعو لداعش بعد كل صلاة. لذا فالمعركة الحقيقية مع داعش لم تكن – ولن تكون – عسكرية أبداً. المعركة الفاصلة معه هي في خلق نظام فكري ومفاهيمي متين لمواجهته، نظام جديد للحياة وللعلاقات بين الحضارات، إعادة قراءة جديدة، انسانية، للتاريخ الإسلامي والعالمي، ولعله يمكن حينها أن نجد سبل مواجهة فكر داعش او بالاحرى مواجهة «فكر التطرف العالمي».

اما على مستوى الحياة العامة واليومية، فيمكن اختصار ما يجري بهذه الفقرات:

– لدى داعش اجهزة ومؤسسات ودور لكل شيء، ولديهم لكل قضية دائرة وموظفون يعملون عليها. لا يمكن للسكان ان يتحركوا او يتنفسوا. الحدود مغلقة تماما، ولا يمكن لأحد الخروج من المدينة الا بشروط صارمة، وقد نشر داعش هذه الشروط: رهن سند ملكية البيت ومبلغ 2500 دولار وسيارة حديثة لا يعود تاريخ صنعها لأبعد من 2011، وشخص يتكفل من يخرج من المدينة، على الا يكون الخروج لأكثر من شهر واحد، بعد انقضائه يتم اعتقال الكفيل ومصادرة المنزل والسيارة ومبلغ 2500 دولار، واعتبار الشخص الذي لم يعد مرتدا كافرا دمه مباح.

– الاطفال يتعرضون لأقسى أنواع التعبئة والتحريض على القتل والعمليات الإجرامية، عبر المراكز الإعلامية المنتشرة في الشوارع، وعبر تبادل مقاطع الفيديو التي تظهر مشاهد الذبح والصلب والقتل. وقد تأثرت أعداد كبيرة من المراهقين بالقدرة الإعلامية الهائلة لداعش وتطوعت أعداد منهم في صفوفه. آخر إحصائية لاعداد الاطفال الذين لا تتجاوز اعمارهم 16 عاما تقول إنهم بلغوا 370 طفلًا تلقوا تدريبات دينية وعسكرية في معسكرات، وقد شارك فعليا في العمليات الانتحارية أكثر من 130 طفلًا مات معظمهم في معارك بيجي والانبار وغرب نينوى.

– تفرض داعش كل يوم شروطاً وقرارات صارمة ومتشددة على المواطنين، وآخرها هو منع حلق اللحى الموجه بشكل خاص الى فئة الشباب. أما النساء فالشروط عليهنّ قاسية جدا، من فرض النقاب، ومنع دخول الاسواق الا بوجود شخص مرافق من عائلة المرأة. ومنع داعش خروج النساء بشكل مطلق من البيوت في رمضان. التدخين ممنوع، كانت العقوبة في البداية لبائعي السجائر 70 جلدة وغرامة مالية كبيرة، واصبحت الآن «قطع الرأس» لكل من يبيع أو يتاجر بالسجائر. أسعار المواد الغذائية بارتفاع مستمر ومرتهنة بالطرق المغلقة مع بغداد وكردستان. وقد اغلقت بغداد مؤخرا الطريق الى الموصل، ومنعت دخول كميات كبيرة من البضائع والمواد الغذائية.

– كما فرض داعش عقوبات شديدة على من لا يدخل الى المسجد اثناء الصلاة ولا يغلق دكانه، والعقوبة هي مصادرة الدكان وغرامة مالية كبيرة وسجن لمدة شهر كامل.

– أُغلق العديد من المكتبات، ومُنع منعا مطلقا تداول الكتب التي يسميها داعش «كتب الكفر والردة»، من الروايات العالمية والعربية والفلسفة والتاريخ والأدب بأنواعه.

باختصار: لا وجود لأي إشارة للحياة في الموصل. اقصد الحياة التي يكون فيها الانسان حرا كريما قادرا على التصرف بنفسه كما يشاء وبسهولة. الحق بالعيش مكفول بالالتزام بشروط وضوابط داعش الصارمة، من يخالفها يعرض نفسه وعائلته للقتل ومصادرة كل الأموال.

موريس ملتون

شهادة من داخل الموصل غيَّر صاحبها اسمه

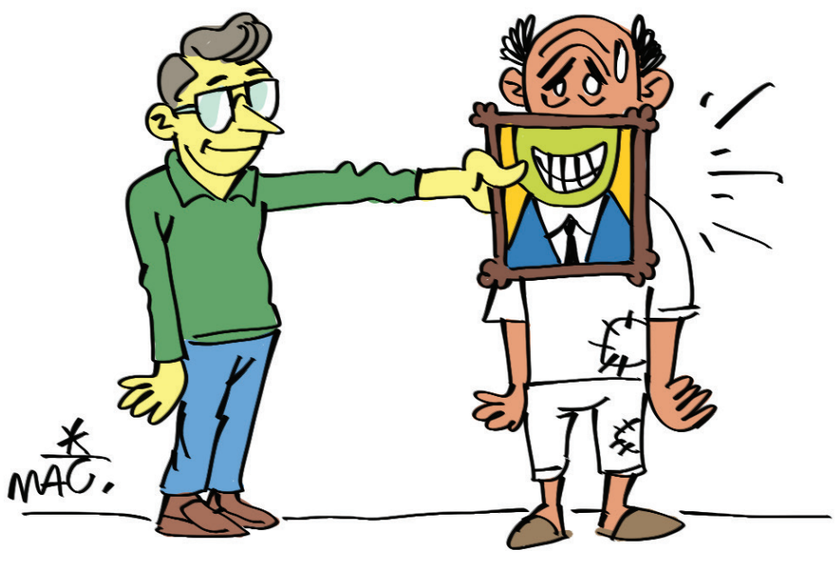

للسيساوي فرحتان وحزن واحد

كان المثقف السيساوي فرحاناً عندما أغلقت محطة مترو السادات، لأن هذا يعني أن القبضة الأمنية للدولة هي المسيطرة، ولأن هذا سيمنع الانفجارات وسيمنع الفوضى وسيمنع مظاهرات الإخوان في ميدان التحرير، وسيؤكد على حضور الدولة، وفوق هذا، فقد امتلأت محطة السادات بالشحاذين والباعة الجوالين قبل غلقها. أصبحت مكاناً لا يطاق ويشوه صورة مصر.

وظل المثقف السيساوي فرحاناً بعد فتح محطة السادات، لأن السيسي أثبت هكذا أنه شخص وطني وحريص على مصلحة الناس ولا يريد لشعبه التعب. ولأن هكذا ستصبح مصر بلداً جميلًا بمحطة مترو مفتوحة، بعد أن كانت طبعاً بلداً جميلًا بمحطة مترو مغلقة.

ولكن هل ننسى أن المثقف السيساوي إنسان أيضاً، وأنه يحزن مثلما يفرح؟

يحزن المثقف السيساوي من الناس الذين كانوا يصرخون بسبب غلق المحطة، ولكن عند فتحها لم يشكر أحدهم السيسي. المثقف السيساوي حزين لأن الناس لا تشكر السيسي على أنه فتح لهم المحطة، التي كان هو نفسه من أغلقها. وهكذا فقد تأكد المثقف السيساوي أنه مهما فعل السيسي، ولو اعتقل أربعين ألف مواطن ثم أفرج عن مئة شخص، فلن يشكره أحد. أي خذلان هذا! أي نكران للجميل! والنتيجة التي توصل إليها هي أن هناك مجموعة من المصريين مصابة بالازدواجية، ولا هم لها إلا عدم شكر السيسي، تشغل وقتها ليلًا ونهاراً بعدم شكر السيسي. هم العدو فاحذرهم، يقول المثقف السيساوي.

هكذا يمكننا الزعم أنه وراء فرحتَي السيساوي، وراء ابتسامتيه وضحكتيه وقهقهتيه، فهناك حزن عميق، عميق للغاية، من الناس التي لا تشكر السيسي.

اشكروا السيسي يا أولاد، اشكروه لأنه أغلق المحطة لأجلكم، ولأنه فتحها لأجلكم، لأنه اعتقل أربعين ألف لأجلكم، ولأنه أفرج عن مئة شخص اعتقلهم لأجلكم، لأنه عادى الإخوان لأجلكم، ولأنه إن صالحهم فسيصالحهم لأجلكم، اشكروه حتى يفرح المثقف السيساوي أخيراً، فرحته الثالثة العميقة.

نص نائل الطوخي ورسم مخلوف

العربي السفير

53 يوماً حتى الآن مضت على إضراب الأسير خضر عدنان عن الطعام احتجاجاً على اعتقاله الإداري، وحذّر الأطباء الإسرائيليون من موته الفجائي استناداً لآخر التقارير الطبية التي تحكي عن تدهور شديد في حالته. وعدنان كان قد أضرب فردياً عن الطعام في العام 2012 لمدة 65 يوماً، وكان أطول إضراب قبل أن يكسر الرقم الأسير سامر العيساوي.

متابعات

كيف كان الرفيق وكيف أصبح؟

دأب الأخ عبد الإله بنكيران على تحدي الرفاق المغاربة بالقول إن «من كانوا يحلمون بالثورة والجمهورية في المغرب انتهوا»، وذلك بفضل حزب العدالة والتنمية الذي فاز بالانتخابات في عز الربيع العربي ـ الأمازيغي. والدليل لدى بنكيران هو أن الشباب المحتج غادر الشارع.

ومن علامات نهاية الاتجاه الثوري قول الأمينة العامة للحزب الاشتراكي الموحد «الديموقراطية ممكنة في المغرب ما لم يتآمر الديموقراطيون على الشعب». ما هو الحل؟ أجابت زعيمة اليسار الجذري: المشاركة في الانتخابات. وهذا بعد عشرات السنين من المقاطعة العنيدة واتهام السلطة وحدها بالتآمر.

نقلتُ هذا التحدي لرفيق من اليسار الجذري لأرى أي مكان وصلت الثورة التي يظن منذ سنوات أنها على وشك الوقوع في المغرب ولم تقع بعد. هو رفيق تروتسكي بلغ الخمسين من العمر، عملنا معا في الجنوب المغربي وألجأ إليه بأسئلة محددة لتوضيح المشهد. يطالع بكثافة ويتحدث بعمق نادر، لكن خطابه لا يصل للعموم.

قال: انتهت الثورة. سألته: كيف عرفت؟

الرئيس المصري الجديد يقبل رأس ملك السعودية. الرئيس المصري الأسبق بريء من الفساد ومن دم الشهداء. تونس تختار رئيسا ولد سنة 1926. بشار الأسد صار في مقدمة محاربي الإرهاب. الثوار في اليمن دينيون. الذين قتلوا في ليبيا بعد القذافي أضعاف من قتلوا في عهده. والأهم أن البغدادي قد حقق ما لم يصل إليه بن لادن، أي الخلافة في أرض الخلافة، وهذا ما فتح الباب للتيارات الدينية لتحقق ذاتها لأقصى حد، وهذا ما سيقودها لحتفها. كيف؟ كان الإسلاميون يطالبون من وضع مريح، الآن تحقق مطلبهم وسيخضع الدين لاختبار التطبيق الذي فشلت فيه الاشتراكية.

ينغشني صوت الرفيق في توصيف المرحلة. طلبت منه أن يركز على المغرب، قال:

حين وصل محمد السادس للحكم وجد نخبة من رجالها، عبد الرحمن اليوسفي وأحمد الحليمي ومزيان بلفقيه.. جلهم كانوا يمينيين لكن كانوا مثقفين و«تكنوقراط» مؤهلين وحاملي مشروع.. والآن لدى الملك نخبة يقودها إدريس لشكر وحميد شباط في حزب الاستقلال. كان علال الفاسي مؤسس الحزب رغم رجعيته بالنسبة لي كيساري، حاملا لمشروع.

هذه مشكلة سياسية، وهناك مشكلة اقتصادية واجتماعية: لقد كرست وصفات صندوق النقد والبنك الدوليين أزمة مزدوجة، فمن جهة أغرقت البلاد في الديون ورهنت مستقبلها، من جهة ثانية أغنت فئة قليلة من لصوص المال العام الذين جمعوا ثروات هائلة بفضل الخصخصة على حساب الشعب. هكذا ابتلينا بأغلبية فقيرة مدجنة وببورجوازية طفيلية تخاف الإبداع وتستهلك السلع لا المعرفة.

واضح ان لدى الملك مشكلة. والغريب أن الملك هو الذي يشخص أعتاب نظامه أكثر من غيره.

هنا اندهشت.

اندهشت لأن الرفيق يفكر للملك بدل أن يفكر ضده. ولهذا سوابق، ففي تشرين الاول/أكتوبر 1999، صرح أبراهام السرفاتي لإذاعة فرنسا الدولية: «عدت من المنفى دون شروط.. ولا يجب أن ندع جلالة الملك وحده». كان ذلك ترخيصا لليساريين بالاقتراب من السلطة. والحجة هي أن اليسار لا يريد أن يترك الملك وحده بمواجهة المحافظين. وقد أثمر ذلك تسوية سياسية وعدالة انتقالية باسم «الإنصاف والمصالحة» جبرت ضرر ضحايا سنوات الرصاص.

اعتبر الرفيق ما حصل تسوية سيئة. فبالنسبة للثوريين التسوية السياسية خيانة. لذا حصل انشقاق كبير بين الرفاق. منهم من صار سفيرا ومنهم من انعزل وصمت. لكن بعد خمس عشرة سنة يقوم الرفيق بنقد ذاتي:

طالب الرفاق بمؤسسات مستقلة. هذا طلب، لكن الوضع هو هذا: فحين تغيب المؤسسات المستقلة فإن الفراغ يملأه أصحاب النفوذ في المناطق. وقد اتُّهم وزير بان حزبه مجرد تجمع للأعيان فوافق الوزير، فتوقف الرفاق عن نقد الأعيان. وحاليا فإن أصحاب النفوذ القبليين يملأون الفراغ المؤسساتي ويؤثرون في القرار السياسي والاقتصادي للدولة التي تسير في ركابهم.

وأين الرفيق؟

فاته القطار. حاليا يعيش في القبيلة ويتحدث عن أزمة الحداثة ويفسر ما بعد الحداثة.

يعترف الرفيق بشكل غير علني: انتصرت الرجعية ــ وأيديولوجيتها في هذه المرحلة قبيلة متأسلمة ــ وتولى رجالها مقدمة المشهد السياسي والاجتماعي. الخطير أن الرفيق يشعر أن في هذا خير غامض، فسابقا كان يعبر عن حنقه الشديد لأن الدولة تجعل من الدين أيديولوجيتها الرسمية، والدين أفيون الشعوب. والآن يندهش الرفيق من حزم الدولة الاستباقي ومن كونها تأخذ المسألة الدينية بجد لا نظير له لم يخطر قط بذهنه، رغم أنه قرأ قول جان جاك روسو: «ما من دولة قامت ولم يكن أساسها الدين».. أدرك الرفيق ضرورة الدين، وهو يتفق مع الأخ بنكيران في نقاط كثيرة، ولا يختلفان إلا في مسائل حقوقية صغيرة منها تجريم العلاقات الجنسية الرضائية ومعاقبة المفطرين في رمضان علنا. يرفع الإخوان شعار: «إذا ابتليتم فاستتروا»، كحل لمشكلة الحرية الشخصية في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان.

يقول الكثير من الرفاق في مغرب اليوم: من حسن الحظ ان هناك أميرا للمؤمنين ليمسك بالشأن الديني. من يستطيع الإمساك بالشأن الديني اليوم؟

مع مثل هذه الاسئلة التي تحمل خوفا، يتضح ان الرفاق حائرون، يتساءلون أين مصلحتهم وأين مصلحة البلد؟ هل المصلحة هي الوفاء لقيم اليسار الجذري وخطاب الماركسية اللينينية لحين اجتثاث البورجوازية وإقامة نظام اشتراكي؟

لم تعد مشكلة اليسار مع البوليس بل مع التشدد. التيار المركزي في المجتمع يتبنى بشكل مبطن طروحات التيارات المتشددة. الشعوب يمينية مثل قادتها. والناس على دين ملوكهم. التيار اليساري هامشي عددا ومؤثر ثقافيا. تنبع قوة اليسار من امتلاكه وجهة نظر واضحة تهيمن على مناضليه، لكن تحولات كثيرة جعلت وجهة النظر هذه منفصلة عن الواقع. صارت عبئا.

يقول الرفيق: حين كنا شبابا، كنا واثقين من إنجاز التغيير الثوري. كانت السلطة تخافنا حتى ونحن تلاميذ. وإلا ما معنى أن يحكم القاضي المغربي خلال السبعينيات من القرن الماضي على تلميذ بالإعدام وعلى باقي المجموعة معه بخمسمئة عام سجنا؟ كنا تلاميذ بالكاد نعي ذواتنا، لكن القاضي يخافنا ويظن أن كل تلميذ هو غيفارا صغير يجب قصه قبل أن يستفحل.

يبدو ان الرفيق قد شفي من اشتراكية الحمقى ولم يعد يعتقد بأنه سيناضل بالوكالة عن الشعب، والجديد أنه اكتشف أهمية النقود. يقوم بنقد ذاتي:

تلقينا تربية مضللة بصدد النقود. سمعنا في شبابنا أن النقود غير مهمة. العكس هو الصحيح. في تبريره للتحول، تذكر الرفيق بأن ماركس قد نجا من البؤس بصداقته مع بورجوازي كبير هو فريدريك إنجلز.

يتعافى الرفيق من مرض إنكار الإخفاق التاريخي، وهو يعيش مرحلة نزول مؤلمة من الحلم إلى الواقع. ومع كل درجة نزول يتبدد الديالكتيك بالاقتراب من الحياة اليومية. من طريقته في الكلام، لم تعد لدى الرفيق طاقة نضالية كامنة وصار يلبس الجلباب الأبيض يوم الجمعة، وفي رمضان يتزايد منسوب النقد الذاتي لديه وقد يواظب على صلاة التراويح في العام القادم.

محمد بنعزيز

كاتب وسينمائي من المغرب

حلم..

نوّار حيدر / سوريا

arabi.assafir.com

المزيد على موقع «السفير العربي»
ـ التنمية بين الهيمنة والتبعية المؤسسة العسكرية المصرية والبنك الدولي ـ أنس حسونة
ـ تسريب في «سنة التعليم» بموريتانيا ـ أحمد ولد جدو
ـ زوجة على غير الصيغ القانونية في تونس أم عشيقة؟ ـ عبد السلام الككلي (من المفكرة القانونية 15ـ06ـ2015)
ـ تابعونا على «فايسبوك»: السفير العربي ـ Assafir Arabi
ـ تواصلوا معنا على «تويتر»: @ArabiAssafir

.. بألف كلمة

رمضان

إبراهيم فرج – غزة، فلسطين

نور الرفاعي ـ السيدة زينب، مصر

مدونات

في الأذان

لو تجرأ أحد الناس اليوم وقال ألا تُوضع مكبّرات الصوت في المآذن خشية تسبيب الأذى للناس بالعموم، والمرضى والنيام من الأطفال على الأخص، لثارت ثائرة الكثيرين، بل وقد يُرمى بالتهم، ولقالوا كيف يتم الإعلان عن وقت الصلاة، والمدن مترامية الأطراف. الرد أن هناك من الآلات اليوم ما يبيّن الوقت وما نسمع به صوت الأذان، أما المدن الصغيرة والقرى فلا صعوبة في الأمر. فإن قالوا فصوت الأذان بركة للسامعين، يكون الرد بالإيجاب ولكن تقديم رفع الأذى عنهم أولى. مع هذا عالج الأمر الإمام ابن الجوزي البغدادي قبل أكثر من ثمانية قرون، في زمن كان صوت المؤذّن هو الموجود فقط. المئذنة وظيفتها التنبيه على وقت الصلاة فقط لا غير. الأذان يكون بصوت معتدل هادئ وبدون إضافات.. يذكر ابن الجوزي ما يحدث في استعمال المآذن: من المؤذنين من يخلط أذان الفجر «بالتذكير والتسبيح والمواعظ ويجعله وسطاً فيختلط». ومنهم من يقرأ سوراً من القرآن بصوت مرتفع فيمنع الناس من نومهم ويخلط على المتهجّدين (المصلّين) قراءتهم، وكل ذاك من المنكَرات». يقول: «وقد كره العلماء كل ما يُضاف الى الأذان». ثم يذكر فعل القرّاء بالذات: فمنهم من يجتمعون ويقرأون القرآن في منارة المسجد بالليل بالأصوات المجتمعة المرتفعة «فيجمعون بين أذى الناس في منعهم من النوم وبين التعرّض للرياء»، والتعرض للرياء هو أنهم يتظاهرون بالانغماس بالعبادة أمام الناس. ويعلّق ابن الجوزي بقوله إنّ ما مضى من العبّاد كانوا «يسترون عبادتهم».

من نص «الغلو والمغالاة في الدين/العبادة»
شيماء الصراف
shayma.alsarraf.over-blog.com/2015/06/557aff58-c66c.html

رمضان في بنغازينا

أعشق هذا الشهر الكريم ولياليه الهادئة المقمرة، حيث يرتفع فيها الأذان لصلاة التراويح التي يحرص عليها الجميع رجالاً ونساءً في المساجد. أحب أن أمارس فيه طقوس جدّتي في تجهيزها وحرصها على استقباله بتقاليد ورثتها هي بدورها.

لن تستطيع أن تتجاهل وأنت تسير في شوارع بنغازي القديمة رائحة القهوة المنبعثة من مطحن بالة والزياني، فهي في أولويّة القائمة الرمضانية: قهوة سادة أو بالمستكة العربية مع نقطة ماء زهر درناوي.

وبعدها تأتي التوابل وتحتلّ الحيّز الأكبر مخلوط مطحون من عود الزنجبيل والبهار والقرفة والشيبه والحبهان، تُطحن كلها ويُطلق عليها «الحرارات»، وهي مهمّة في تحضير طبق الشوربة العربية.

وهذا طبعاً إلى جانب البقيّة مثل الفلفل الأحمر والكركم والكروية والفلفل الأكحل والنعناع المطحون، ونحرص أن تكون طازجة، خاصة في شهر رمضان.

لتأتي «الروينة» في قائمة مشروبات رمضان المهمة للسحور، وهي خليط من المكوّنات المقويّة (سمسم، قصب، كمون حلو، «يانسون»، كمون عريض، حمص، لوز أبيض، قمح). نشتري المكونات حبوباً ويتمّ غسلها وتجفيفها وتحميصها في البيت وطحنها. يُذوّب منها ملعقتان في كوب ماء بارد وتشرب، وبعدها لن تشعر إلاّ وعروقك قد بُثت فيها الحياة. ولا ننسى أنه لا بدّ من «تذويق» الجيران والأحباب منها، وإلاّ لن يكون لها بركة.

رمضان لمّة العائلة والتواصل يجمع الأصحاب والأحباب. تجدهم قادمون من كل أحياء بنغازي، يجمعهم ميدان «سوق الحوت» في وسط المدينة القديمة بالقرب من كورنيش الشابي.

لهذا السوق ذكريات عند البنغازيين، وكم أعتزّ بأني أملك تفاصيل هذا السوق، لأنّ جدي عوض كان من أوائل الوجوه البنغازيّة المعروفة. كان يملك متجراً أو كما يُطلقون عليه بالإيطالي (كبرتيفه).

لا تغيب من ذاكراتي وذاكرة الناس تلك الأيّام الجميلة، كنت تجد كل شيء مكوّماً ومعروضاً بصورة شيّقة وجميلة. سوق شعبي تجد فيه كل ما لذّ وطاب في رمضان، كل أنواع الخبز البيتي المشهي والساخن، المكسرات بأنواعها، الأجبان واللبن الرائب المصنوع في المنزل، العسل الطبيعي، أنواع الحلويات الرمضانية، والمقبلات بأنواعها: الزيتون المخلل مع الهريسة الليبية، منها على سبيل المثال «المصير»، نوع من المقبلات الليبية وهو خليط الفلفل الحار مع قطع الخيار وعصير الليمون والثوم والكسبرة، لذيذ وفاتح للشهية.

رمضان في مدينتي العتيقة له طعم مختلف، طعم مفعم برائحة تقاليدنا الجميلة، مسكون بروح الأجداد، ومزيّن بتواصل الأجيال وتمسّكهم بتلك التفاصيل التي تُعطي نكهة للبنغازيين أينما كانوا.

من مدونة «أحلام البدري» الليبية (15 حزيران/يونيو 2015
http://ahlamelbadri.libyablog.org